

الإتقان في ممارسة العمل الوظيفي "المؤسسي" في ضوء معطيات رسائل النور: تأسيساته ومحدداته وتطبيقاتها".

الأستاذ الدكتور عدنان خطاطبة
كلية الشريعة-جامعة اليرموك-الأردن

المقدمة:

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، وعلى آله وأصحابه أجمعين، وبعد:
إن المتأمل في رسائل النور ضمن سياقاتها المفاهيمية والثقافية والواقعية يتأكد له كلما جدّد هذا النظر في تلك الرسائل أنّها تتضمن ثروة حقيقة من الأفكار القابلة للتطبيق المعاصر، وجملة وافرة من المعطيات العلمية والحضارية التي تفتح الآفاق لكل فرد أو مؤسسة أو دولة يحمل هماً صادقا لإحداث تغيير إيجابي على صعيد الإنسان أو السلوك الاجتماعي أو البناء المدني، ذلك باعتبار إن رسائل النور هي مشاريع إصلاحية شمولية تتجه إلى كافة مناحي الحياة. ويأتي في هذا السياق تلك المعطيات التي تقدمها رسائل النور في مجال العمل الإيجابي: تصوراً وممارسةً، من خلال ما تقدمه من مفاهيم ومبادئ ورؤى مفصلة أحياناً، ومجملتها أخرى، يمكن توظيفها في تحسين أداء العمل وتجويد مخرجاته، بناء على تأسيس متميز تقدمه رسائل النور يجمع بين المنطلقات الإيمانية والمهارات الحياتية لتشكّل مجموعها النجاح في الإنتاج المفيد والتحقق بالإيمان النافع. ومن هنا، تولدت فكرة هذا البحث التي قامت على مراعاة الأطر المتقدمة والنظر في سلسلة رسائل النور والدراسات ذات الصلة بها، حيث حدد الباحث عنوان فكرة البحث لتكون: الإتقان في ممارسة العمل الوظيفي "المؤسسي" في ضوء معطيات رسائل النور: تأسيساته ومحدداته وتطبيقاتها. في محاولة جادة منه لتوظيف معطيات رسائل النور في خدمة الدنيا تأسيساً على الإيمان، وفي إظهار فاعلية أفكار الإمام النورسي في توجيه العمل الدنيوي ليحقق مراتب الإحسان والإتقان التي طلبها الشرع أساساً، وهي ما يعرف في عصرنا بمطلب "الجودة". ليدل ذلك وبكل تأكيد على استمرارية العطاء الفكري المتجدد لرسائل النور وإمكانية تفعيله في واقعنا المعاصر على مختلف الأصعدة.
وتكونت الدراسة من مبحثين رئيسيين، هما: المبحث الأول: التأسيس المفاهيمي

لمطلب الإتيان في ممارسة العمل الوظيفي "المؤسسي" في ضوء معطيات رسائل النور. والمبحث الثاني: من أبرز محددات الإتيان في ممارسة العمل الوظيفي "المؤسسي" وتطبيقاتها في ضوء معطيات رسائل النور. واستخدم الباحث المنهج الاستنباطي في بحث فكرة العنوان من خلال تتبع عناصرها في رسائل النور مع مراعاة الربط بين ذلك كله وبين الواقع المعاصر قدر الممكن. ويرجو الباحث من الله تعالى التوفيق والسداد.

المبحث الأول: التأسيس المفاهيمي لمطلب الإتيان في ممارسة العمل الوظيفي

"المؤسسي" في ضوء معطيات رسائل النور.

يسعى الباحث في هذا المبحث إلى تقديم دلالة المفاهيم الأساسية المكونة لفكرة هذه الدراسة في ضوء معطيات رسائل النور. وسيكون التركيز على تقديم دلالة المفهوم الأقوى والأكثر أهمية والذي يشكل العمود الفقري في الجهاز المفاهيمي للدراسة كلها وهذا المفهوم هو: مفهوم الإتيان، ثم الانتهاء بتقديم رؤية كلية لمفهوم الإتيان في ممارسة العمل الوظيفي "المؤسسي" في ضوء معطيات رسائل النور.

بداية، لا بد من التأكيد فيما يتعلق بطبيعة عملية بحث مثل هذه الموضوعات في رسائل النور، من أن على الناظر في رسائل النور والمتفقه في حقائقها أن يدرك أنه أمام نسق معرفي عظيم البنية متصل الفكرة عميق المرامي متسع المدارك تأتي فيه الأفكار بصورة ممتزجة متحدة متواصلة الأجزاء رغم أنها تحمل تعددا في الموضوعات، وهذا هو شأن إمام كبير مبدع مثل النورسي، وهذا يعني أن عملية البحث عن تحديدات مفاهيمية وفكرية معينة لا ينبغي أن تتم بطريقة تقليدية شأنها شأن المؤلفات الجامعية وغيرها التي تضع عشرات العناوين التفصيلية، وهذا الإدراك في التعامل مع رسائل النور غاية في الأهمية؛ لأن أفكارها ليست جزرا متقطعة بل هي محيطات متصلة حاملة لعشرات الموضوعات ومئات الأفكار وآلاف المفاهيم، وإن الوصول إليها يجب أن يتم من خلال قراءات متتابعة وشمولية لمختلف السياقات التي انتشرت في طياتها. وهذا هو تماما ما ينطبق على أفكار هذه الدراسة وهو ما وعاه الباحث وراعاه وطبقه خلال عملية بناء أفكار الدراسة التي أخذت قراءات متوسعة ومطولة لرسائل النور فيما يتعلق بمباحث الدراسة. وعليه، فإن الباحث يمكنه التأسيس لمفهوم الإتيان في هذا الإطار من الوعي بفقته قراءة رسائل النور ومعطياتها المتعلقة بهذا المفهوم تحديدا من خلال ما يأتي:

- استخدام مصطلح الإتيقان وتعدد المصطلحات الدالة عليه: يجد الناظر في رسائل النور أن هناك استخداماً واضحاً لمصطلح الإتيقان^(١)، وأن هناك عدة مصطلحات تتقارب في استخداماتها الدلالية على الإتيقان، كان من أبرزها: الإحسان، والحسن، والجمال والإبداع ومشتقاتها الدالة عليها^(٢). وهذا أمر مهم جداً في التوصل لرؤية رسائل النور لعملية الإتيقان.

- الإطار المفاهيمي الإيماني لمفهوم الإتيقان المادي (الإنساني): وجد الباحث من خلال تتبعه لمفهوم الإتيقان وما يتصل به أن رسائل النور تركز بالأساس على مفهوم الإتيقان الإيماني الذي ينسب الإتيقان للخالق الحكيم سبحانه باعتباره من أعظم أفعال الله تعالى في هذا الوجود ومظاهر خلقته الحكيمة، والنورسي إذ يقدم رؤيته لمفهوم الإتيقان المادي والإنساني فإنه يضيف عليه الأبعاد الرئيسة المكونة لمفهوم الإتيقان الإيماني ويجعله يتحرك من خلاله دون أن يضاهيه أو يماثله ولا حتى يقاربه، ولكن هذه هي معطيات رسائل النور وتجديدها في بناء المفاهيم الحياتية التي تمثل إطاراً إسلامياً صحيحاً. فمثلاً، فمما ذكرته رسائل النور حول مفهوم الإتيقان الإيماني وما يحمله من دلالات عامة لا بد أن تكون في الإتيقان المادي والإنساني: أن الجمال الظاهر في المخلوقات من جمال الخالق^(٣)، وأن كل شيء في الكون فيه جمال وحسن^(٤)، ومما جاء في رسائل النور فيما يعطي مفهوم الإتيقان إطاره المفاهيمي الإيماني ويضعه في سياقه، قول النورسي: "لما كانت الحياة تبين نقوش الأسماء الحسنی، فكل ما ينزل بالحياة إذن جميل وحسن. فمثلاً: إن صانعاً ثرياً ماهراً يكلف رجلاً فقيراً لقاء أجره معينة ليقوم له في ظرف ساعة بدور النموذج (موديل)؛ لأجل إظهار آثار صنعه الجميلة وإبراز مدى ثرواته القيمة فيلبسه ما نسجه من حلة قشبية في غاية الجمال والإبداع، يجرى عليه أعمالاً ويظهر أوضاعاً وأشكالاً شتى لإظهار خوارق صنائعه وبدائع مهاراته، فيقصّ ويبدّل

(١) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ١١٣.

(٢) النورسي، بديع الزمان، اللمعات، ص ٩٣، و ٥٦٠، و ٣٣٣، و النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٦٨، و ٢٥٠.

(٣) النورسي، بديع الزمان، اللمعات، ص ٣٩٣.

(٤) النورسي، بديع الزمان، اللمعات، ص ٥٦٠.

ويطوّل ويقصر، وهكذا، تُرى أيجق لذلك الفقير الأجير أن يقول لذلك الصانع الماهر: إنك تتعبي وترهقني بطلبك مّي الانحاء مرة والاعتدال أخرى، وأنك تشوّه بقصّك وتقصيرك هذا القميص الذي يجملني ويزيني؟ ترى أيقدر أن يقول له: لقد ظلمت وما أنصفت؟^(١)، والمقصود أنه من تلك الدلالات المفاهيمية تؤخذ الصورة المتكاملة لمفهوم الإتيقان في فكر النورسي وأفكار رسائله.

- مفهوم الإتيقان في ضوء فكر النورسي: بعد تتبع عشرات المواضيع ذات الصلة بمفهوم الإتيقان عموماً وما يتصل به من مفاهيم أخرى وفي الإطار المفاهيمي الإيماني للإتيقان كما سبقت الإشارة إلى ذلك، فإن الباحث استطاع أن يكون نسقاً مفاهيمياً يمثل رؤية النورسي في رسائل النور لمفهوم الإتيقان، مع التأكيد على أن جميع المفردات الأساسية الشارحة قد وردت في رسائل النور وهو كما يأتي: مفهوم الإتيقان في ضوء فكر النورسي:

هو حسن صنعة الشيء^(٢) ودقته^(٣)، والإبداع في تكوينه^(٤)، وتناسق عناصره^(٥)، وانتظام أجزائه^(٦)، وإبراز جماله وزينته وروعته^(٧).

وعليه، فمفهوم الإتيقان في ضوء رسائل النور وكما يقدمه النورسي لا يعني عملية إيجاد للشيء فقط: صناعةً أو بناءً أو أداءً أو زراعة أو غيرها من عمليات التنشئة، بل هي تتجاوز ذلك لتكون عملية تجويد للشيء وتحسينٍ وتجميلٍ وإبداع، وانتظام متناسق متناسم لأجزائه، يحقق الغرض الذي سيق لأجله بأقصى درجات السهولة والسرعة. ومما لا شك فيه أن هذا الإتيقان يصدق على الأشياء المادية والمعنوية، والمجالات الدنيوية والدينية.

(١) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٥٥٣-٥٥٤.

(٢) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٢٥٠ و ٧٢٣، واللمعات، ص ٩١ و ٩٢.

(٣) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٨٠ و ٨١ و ١١٩ و ٥٨٥.

(٤) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٦٨ و ٧٩٩.

(٥) النورسي، بديع الزمان، ص ٦٨ كلمات ص ٦٤٤ كلمات.

(٦) النورسي، بديع الزمان، ص ٦٤٤ كلمات ص ٥٣٧ كلمات.

(٧) النورسي، بديع الزمان، ص ٧٩٩ كلمات، و ٦٧٤، واللمعات، ص ٩١.

- أبعاد نفسية وعملية ونسبية لمفهوم الإتقان: تعطي رسائل النور مفهوم الإتقان جملة من الأبعاد التي تضيف عليه حيوية وفاعلية، منها البعد النفسي والمتمثل بحب النفس الإنسانية للشيء المتقن وافتتائها بمظهره إعجابا وتقديرا، ومنها البعد العملي والمتمثل بكون الإتقان فعل إنساني، بمعنى لا بد فيه من القيام بإجراءات عملية صحيحة لتحقيقه، والبعد النسبي المرتبط بدرجة الإتقان، ومما يدعم هذه الفكرة قول النورسي في سياقات متعددة حول فكرة الإتقان والإحسان: "الفطرة البشرية تكن حبا للجمال وودا للكمال (بعد نفسي)، وافتنانا بالإحسان (بعد إعجاب) وتزايد تلك المحبة بحسب درجات (بعد نسبي) الجمال والكمال والإحسان"^(١) وقوله في ذات السياق حول الإتقان: "فعل تحسين (بعد عملي) في منتهى الجمال، وفعل تزيين (بعد عملي) في منتهى الروعة"^(٢).

- التأسيس الشرعي والفكري والتطبيقي لفكرة الإتقان: مما اعتمدت عليه رسائل النور في التأسيس الشرعي لفكرة الإتقان، قول الله تعالى: ﴿وَقَرَى الْجِبَالِ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ (النمل: ٨٨)، وقوله تعالى: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ﴾ (السجدة: ٧). وهما أدلة شرعية أساسية في الدلالة على مفهوم الإتقان والإحسان في التصور الإسلامي. ولعل من المناسب أن يتم ذكر كلام أهل التفسير حول هاتين الآيتين، فحول الدليل الأول: يقول القرطبي: "الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ" أي أحكمه، وقال قتادة: معناه أحسن كل شيء والإتقان: الأحكام، يقال رجل تقن أي حاذق بالأشياء"^(٣) ويقول ابن عاشور: "وَالصُّنْعُ. قَالَ الرَّاعِبُ: إِجَادَةُ الْفِعْلِ فَكُلُّ صُنْعٍ فِعْلٌ وَلَيْسَ كُلُّ فِعْلٍ صُنْعًا، يُقَالُ لِلْحَاذِقِ الْمُجِيدِ: صُنْعٌ، وَلِلْحَاذِقَةِ الْمُجِيدَةِ: صِنَاعٌ. وَاعْلَمْ أَنَّ الصُّنْعَ يُطْلَقُ عَلَى الْعَمَلِ الْمُتَّقَنِ فِي الْخَيْرِ أَوْ الشَّرِّ، وَوَصَفُ اللَّهِ بِ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ تَعْمِيمٌ، قَصْدٌ بِهِ التَّنْذِيلُ، أَي مَا هَذَا الصُّنْعُ الْعَجِيبُ إِلَّا مُمَاتِلٌ لِأَمْثَالِهِ مِنَ الصَّنَائِعِ الْإِلَهِيَّةِ الدَّقِيقَةِ الصُّنْعِ"^(٤).

(١) النورسي، بديع الزمان، اللغات، ص ٩١،

(٢) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٦٧٤.

(٣) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ١٣/٢٤٤.

(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ٢١/٢١٦.

وبالنسبة لمفهوم العمل عند النورسي فهو مفهوم شمولي يتسع للعمل المادّي في مختلف شؤون الحياة الدنيا وللعمل الإيماني بمفهومه القرآني الواسع^(١).

وعليه، فمما تقدم ذكره، يكون المقصود بالإتقان في ممارسة العمل الوظيفي "المؤسّسي" في ضوء معطيات رسائل النور: هو إحسان المسلم في أداء عمله الوظيفي ودقته فيه، وسعيه الجادّ للإبداع فيه، وإبراز جماليّاته، وانتظامه مع سائر مكونات وظيفته ومؤسّسته.

ولعلّ في قول النورسي: "إنّ وظيفتنا هي العمل الإيجابي البناء وليس السعي للعمل السلبي الهدام"^(٢) ما يشير لمضمون ما تقدم من توصيف مفاهيمي لعلاقة الإتقان بالعمل، كما أن فيه إشارة بليغة لحمل رسائل النور للفكرة ذاتها والتأسيس لها والالتزام بها ميدانياً.

المبحث الثاني: من أبرز محدّدات الإتقان في ممارسة العمل الوظيفي "المؤسّسي" وتطبيقاتها في ضوء معطيات رسائل النور.

يعنى هذا المبحث بالكشف عن جملة من محدّدات الإتقان في ممارسة العمل الوظيفي "المؤسّسي" وتطبيقاتها في ضوء معطيات رسائل النور، ويقصد بها الباحث إجرائياً: محاولته لاستجلاء ما أمكن من العوامل والموجهات والقيم الضابطة والبنائية لعملية إتقان المسلم لعمله الوظيفي في مؤسّسته التي يعمل فيها وذلك من خلال تتبع أفكار النورسي في رسائله ذات الصلة بالموضوع وجمع شتاتها ووضعها في أنساق معرفية تشكل في تكويناتها النهائية ما أطلق عليه الباحث محدّدات إتقان العمل، مع الإشارة إلى ما يمكن الاستفادة منه من تطبيقات هذه المحدّدات يمكن أن يستفيد منها المسلم المعاصر في إتقان عمله الوظيفي المؤسّسي، ذلك أنّ النورسي في رسائله يقدم أفكاراً حاملة لكثير من التطبيقات الحياتية المتجددة يستفيد منها من يحسن قراءة أفكار رسائل النور وما وراء هذه الأفكار. وقد اجتهد الباحث بعد نظر في الرسائل في التوصل إلى جملة من هذه المحدّدات صنفها وفقاً للنموذج الآتي:

أولاً: محدّد التعبّد لله بالعمل الوظيفي وتطبيقاته:

يقصد بهذا المحدّد وفقاً لمعطيات رسائل النور أن على المسلم أن يدرك أن عمله الوظيفي داخل مؤسّسته ودرجات إتقانه للأعمال المطلوبة منه يقع في دائرة الإيمان والعبادة

(١) ينظر: النورسي، بديع الزمان، سيرة ذاتية، ص ٤٦٩، والكلمات، ص ٨٤٢، واللمعات ص ٢٦١، والمكتوبات، ص ٨٨.

(٢) النورسي، بديع الزمان، سيرة ذاتية، ص ٤٦٩.

لله تعالى إذا ما هو أخلص لله تعالى.

وتحمل رسائل النور تأسيسات وتوجيهات عدة في التقعيد لهذا المحدد وتوضيح أبعاده، من ذلك: أن رسائل النور وكما تقدم في المبحث الأول تضع فكرة الإتقان في إطار شمولي يتمثل بملاحظة المسلم لإتقان خالقه في أفعاله في الكون والحياة التي هي تجليات لأسمائه الحسنی^(١)، وهذا بجد ذاته نوع من العبادة لله تعالى، ومن التطبيقات التي يمكن على سبيل المثال أن يفعلها المسلم المهندس في عمله الوظيفي المؤسسي، أن يلاحظ بعض أسماء الله الحسنی فيما يبدعه من أعمال هندسية وفيما ينتجه من نواتج صناعية متقنة فيحقق بذلك صورة من صور التعبد لله تعالى، يقول النورسي موضحاً ذلك علة سبيل المثال: "فالهندسة مثلاً علم من العلوم حقيقتها وغايتها الوصول إلى اسم الله العدل والمقدر ومشاهدة تجلياتها في مرآة علم الهندسة"^(٢)، وكذلك يضرب مثلاً آخر للمسلم الطبيب ومؤسسة الطب نفسها وكيف أن ما يتقنونه من فنون الطب لا بد لهم من ملاحظة أسماء الله الحسنی فيه: مثل: اسم الله الشافي^(٣). وكل هذا ربط لعمل المسلم وإتقانه له بدائرة التعبد لله تعالى.

ومن أوجه التقعيد العلمي لهذا المحدد في ضوء رسائل النور، أن يتوجه المسلم في عمله الوظيفي للاستعانة بالله تعالى وطلب المدد منه سبحانه ليعينه ويفتح عليه في إنجاز أعماله وإتقانها؛ لأن الإنسان يعتريه الضعف والقصور والله سبحانه هو المعين وهو القوي المتصف بالكمال، يقول النورسي: "حالما يشعر (المسلم) بضعف ينيب إلى ربه ويستمد منه القوة"^(٤)، وتتم رسائل النور بقيمة "التوفيق الإلهي" للمسلم وكيف أنه بحاجة ماسة إليها، يقول النورسي: "التوفيق في الأعمال هو مما يتولاه الله"^(٥)، من هنا فإن من تطبيقات ذلك أن على الموظف المسلم أن يطلب التوفيق من الله تعالى باستمرار لإنجاز عمله على الوجه التقني والفني المطلوب منه بأقصى درجات الإحسان.

والعبادة مفهومها واسع وفقاً لطرح رسائل النور وفقه النورسي لها وهذا لا يحتاج

(١) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٥٥٣-٥٥٤.

(٢) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٢٨٩.

(٣) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٢٨٩.

(٤) النورسي، بديع الزمان، اللغات، ص ٢٢٨.

(٥) النورسي، بديع الزمان، اللغات، ص ٢٢٣٠.

لجدال^(١)، ومن هنا يمكن للموظف المسلم في مختلف دوائر عمله أن يجعل من سلوكه الوظيفي وحرصه على إتقان عمله عبادة بتعبد الله تعالى بها ويؤجر عليها من خلال إخلاصه لله تعالى في عمله، يقول النورسي: "كما تصبح العادات المحبة بالنية عبادات كذلك العلوم الكونية"^(٢)، ومن خلال مشروعية العمل المتقن نفسه ومدى موافقته لقواعد الإسلام، يقول النورسي: "فإن أعماله اليومية- المسلم- ومعاملاته العرفية وتصرفاته الفطرية الاعتيادية تأخذ بهذا الاتباع- للسنّة- شكل العبادة"^(٣).

وتضع رسائل النور أمام كل مسلم في عمله الوظيفي وجهده الإتيقاني والإبداعي فيه عدة توجيهات ومحاذير لضبط سلامة مسيرة العامل المسلم والعمل المنتج والمتقن في خط الإيمان وبقائه في دائرة التبعّد، من خلال تذكير المسلم بأنه في النهاية مرجعه إلى الله تعالى وإلى الدار الآخرة وهناك تكون المسؤولية عن أعماله الدنيوية "فالدار الدنيا، للتجارة وإنجاز الوظائف سيرجعون إلى الخالق بعد أن أدّوا وظائفهم"^(٤)، وهذا بلا شك يحثه على الإتيقان، كما تحذره من أن يتحول في عمله الوظيفي من عامل مسلم متقن لعمله تعبداً لله تعالى إلى عامل مسلم عابد لوظيفته المادية منبهر بها ومنغمّر بما يقدمه فيها^(٥)، فهذا من عمل الشيطان، يقول النورسي: "إياكم أن تتبعوا الشيطان في رقيكم وتقدمكم فيكون ذريعة ترديكم من سماوات الحكمة الإلهية إلى ضلالة المادة الطبيعية"^(٦). والواجب على المسلم كما ترى رسائل النور أن يدرك الحقيقة الكبرى من وجوده ومن سعيه، وهي حقيقة التبعّد لله تعالى في كل مناشط الحياة، يقول النورسي: "المقصد من خلق الكون قيامك بالعبودية والغاية من خلقك بلوغ تلك العبودية بالعلوم والكمالات"^(٧). ومن هنا فالمسلم في عمله الوظيفي المؤسّسي عليه أن يضع كل أنشطته وممارساته وإبداعاته ومستويات إتقانه في دائرة التبعّد لله

(١) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٢٠٠.

(٢) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٨٤٨.

(٣) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٨٤٨.

(٤) النورسي، بديع الزمان، المكتوبات، ص ٢٩٦.

(٥) ينظر: النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٨٣٨ و ٨٥٧.

(٦) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٢٨٨.

(٧) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٢٩٠.

تعالى، إقامة لحق العبودية الذي أوجبه الله تعالى عليه مادام حيًا عاقلاً.

ثانياً: محدّد الاتصال الإيجابي (التعاون) وتطبيقاته

تعطي رسائل النور قيمة عالية لمحدّد الاتصال الإيجابي والتعاون بين العاملين في المؤسسات من خلال جعل ذلك المحدّد مطلباً شرعياً، ومبدأً إسلامياً، جاءت النصوص الشرعية العامة دالة عليه في إطار العمل الجماعي الذي يرقى بالمجتمع المسلم وبإنجازاته، يقول النورسي: "وامتثلوا بما تأمركم به مئات الآيات والأحاديث من التحابب والتعاون واستمسكوا بعرى الاتفاق"^(١)، ومن القيم التي تؤسس لمحدّد الاتصال الإيجابي بين الموظفين العاملين في مؤسسات المجتمع المسلم: قيمة رابطة الأخوة ومشاعر المودة والمحبة^(٢)، يقول النورسي: "بفضل هذه الرابطة المقدسة التي تشد الأمة الإسلامية بعضها ببعض، يصبح المسلمون كافة كعشيرة واحدة. فترتبط طوائف الإسلام برباط الأخوة، كما يرتبط أفراد العشيرة الواحدة، ويمدّ بعضهم بعضاً معنوياً، وإذا اقتضى الأمر فمادياً، وكأن الطوائف الإسلامية تنتظم جميعها كحلقات سلسلة نورانية"^(٣). وفي هذا تطبيق عملي لقول النبي ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحُمَى»^(٤). وينظر النورسي بنظرة عميقة إلى ما وراء هذا الارتباط الرحيم، وإلى ثمار هذه الألفة، وإذا بها زاخرة بالعطاء وافرة بالثمار في شتى المجالات ومنها الوظيفية، يقول في ذلك: "اعلم، أن سرّ تساند المؤمنين في عباداتهم، ودعواتهم في جماعاتهم سرّ عظيم، وأمر جسيم، له شأن فخم؛ إذ يصير به كل فرد كالحجر المخصوص، في البناء، يستفيد من إخوانه في الإيمان بألوف ألف ما يستفيد من عمل نفسه. فإذا نظمهم سلك الإيمان، يصير كلٌّ لكلّ، وللكلّ شفيعاً، وداعياً، ومسترحماً، وراجياً، ومادحاً، ومزكياً"^(٥). وتحذر رسائل النور كذلك من مضادات الاتصال الإيجابي، كالخلاف والخصام والجدال والتنافسات المذمومة

(١) النورسي، بديع الزمان، اللغات، ص ٢٣٥.

(٢) النورسي، بديع الزمان، المثوي العربي، ص ١٥٨.

(٣) النورسي، بديع الزمان، صيقل الإسلام ص ٥١١.

(٤) مسلم، الصحيح، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم، ح رقم (٦٧٥١).

(٥) النورسي، بديع الزمان، المثوي العربي، ص ٤٠٧.

والحسد^(١)، وخاصة العناد والتنافر والتفرقة والأنانية^(٢) وغيرها من نوازع الشر التي تعدّ معيقا شديداً للتأثير أمام إنجاز العمل الوظيفي وإتقانه وتحقيق المؤسسة لأهدافها النمائية؛ لأنها تسحب الأفكار الإبداعية وتطفئ جذوة الإقتان وتشيع السلبية والأحادية والتهرب من المسؤولية ومحاولة إفشال الآخر. وإن من شأن المؤسسات التي ينشأ فيها هذا الوضع السلبي الفردي وأمراضه التي تعكّر صفو العلاقات بين الموظفين وتحمّد اتجاهات العمل الجماعي المشترك أن تفسح المجال أمام حفنة قليلة من أفراد المؤسسة للاستئثار بمقدرات المؤسسة واستغلالها لمصالحهم الخاصة، وهذا ما تحذر منه عموماً رسائل النور^(٣) حينما يدبّ الخلاف وسط جماعة تحمل أفكار طيبة فيأتي أهل الفساد القلة مستغلين ذلك لتحقيق مآربهم الخاصة بهم.

وتشير رسائل النور إلى فكرة اقتصادية أساسية في إنجاز الأعمال وإتقانها، تتمثل في كون العمل الذي يتم إنجازه وإتقانه من خلال مجموعة منظمة ومتعاونة من الأيدي العاملة هو أكثر كميّة وأسلم نوعية من ذلك المنجز بطريقة فردية عشوائية، يقول النورسي في: "وإذا انتسب أحد إلى السلطان والجندية أو بالوظيفة الحكومية فإنه يتمكن أن ينجز من الأمور والأعمال أضعاف أضعاف ما يمكنه إنجازه بقدرته الشخصية"^(٤). وكلما كانت عملية الاتصال الإيجابي متعاونة ومتساندة بين أفراد المشروع المزمع القيام به، فإن مهمة إنجازه تكون أكثر سلاسة، وأريح جهداً للجميع، وهو ما يثمر درجة ايجابية من الإقتان، يقول النورسي فيما يتضمن إشارة لذلك: "كمثل التعاون الحاصل في رفع صخرة عظيمة فكلما تكاثرت الأيدي عليها سهل رفعها أكثر حيث يستمد كل منهم القوة من الآخر"^(٥). ومن هنا فإن على المؤسسات أن تحرص على إنجاز أعمالها وإنتاج منتجاتها بمستوى من الإبداع والإقتان من خلال تبنيها استراتيجيات الاتصال والتعاون بين الموظفين وتشكيل الفرق التعاونية للعمل بشكل جماعي منظم بما يختصر الوقت ويسهل العمل ويسرع الإنتاج ويوصل

(١) ينظر: النورسي، بديع الزمان، اللغات ص ٢٣٥، والكلمات، ص ٨٧٣ و ٨٣٥.

(٢) ينظر: النورسي، بديع الزمان، مكتوبات ص ٣٤٧، و سيرة ذاتية، ص ٤٧٥.

(٣) ينظر: النورسي، بديع الزمان، اللغات ١٣١.

(٤) النورسي، بديع الزمان، اللغات، ص ٢٨٧.

(٥) النورسي، بديع الزمان، اللغات، ص ١٨٦.

إلى تكامل الأفكار في تحقيق درجات الإتقان والإبداع بدلا من العمل الفردي المبعثر. وترى رسائل النور أن على الموظف المسلم أن يحرص في إنجاز مهام إتقان عمله على التواصل الإيجابي مع فئة الموظفين من أصحاب القيم الصحية والأخلاق العالية وذلك من نعم الله عليه؛ لأن هؤلاء هم ضمانا العون الإلهي والسمعة الطيبة والإنتاج المادي السليم، يقول النورسي: "الاتفاق مع أهل الحق هو أحد وسائل التوفيق الإلهي"^(١). ومن هنا يجب على المؤسسات أن تعمل تقييما أخلاقيا للموظفين لتنفذ من خلاله إلى المحافظة على العينات الإيجابية والتخلص من الأفراد السلبيين لأنهم يشكلون معوقات للإتقان الوظيفي. ومن القيم التي تؤسس لمحدد الاتصال الإيجابي بين الموظفين العاملين في مؤسسات المجتمع المسلم: قيمة رابطة الأخوة ومشاعر المودة والمحبة^(٢)، يقول النورسي: "بفضل هذه الرابطة المقدسة التي تشد الأمة الإسلامية بعضها ببعض، يصبح المسلمون كافة كعشيرة واحدة. فترتبط طوائف الإسلام برباط الأخوة، كما يرتبط أفراد العشيرة الواحدة، ويمد بعضهم بعضاً معنوياً، وإذا اقتضى الأمر فمادياً، وكأن الطوائف الإسلامية تنتظم جميعها كحلقات سلسلة نورانية"^(٣).

إنّ التزام مؤسسات العمل في المجتمع المسلم بالقيم الإيجابية التي تضمنتها رسائل النور في مئات المواضيع يجعلها تقوم على "أساس علاقات إنتاجية تعاونية في إطار من الضوابط والمحددات، ومن خلال الصيغ التي تؤدي بها العمليات الإنتاجية، بحيث تتم بعيداً عن العلاقات الإنتاجية التنافرية، وبحيث لا تتضمن الصراع بين أطراف العملية الإنتاجية"^(٤)، وفي ذلك نجاح لمؤسسة العمل وتحقيقاً لأهدافها التي رسمتها^(٥)، والتي من بينها الإنتاج المتقن، والعمل المبدع، والخدمات المتميزة.

ومن جماليات تفعيل القيم الإسلامية الإيجابية في محدّد الاتصال والتعاون الإيجابي في العمل الوظيفي والمؤسسي، أنها تبنية بين العاملين على أساس إيماني وروحي قبل أن يكون

(١) النورسي، بديع الزمان، اللغات، ص ٢٢٩.

(٢) النورسي، بديع الزمان، المثوي العربي، ص ١٥٨.

(٣) النورسي، بديع الزمان، صيقل الإسلام، ص ٥١١.

(٤) خلف، فليح، النظم الاقتصادية، ص ٣٤٣.

(٥) العجمي، محمد، الاتجاهات الحديثة في القيادة والإدارة، ص ١١٤.

مصلحياً ومنفعياً. وهذا المستوى من بناء علاقات الاتصال تفتقده مؤسسات العمل ذات التوجهات العلمانية؛ لأنها تتعامل مع الموظف تعاملاً آلياً ومادياً، وهو أمر "يتطلب تأكيد قادة النظم وإدارتها على أهمية تبصّر الحاسية العاطفية والوجدانية والأخلاقية لمدخلاتهم البشرية"^(١)، إذ تؤكد الدراسات أنّ أكثر ما يعني العامل من رئيسه هو معاملته له بمودة وإحساس بمشاعره، وأنّ ذلك يؤدّي إلى زيادة الإنتاج والعمل بروح الفريق المبدع^(٢)، وأنّ سيادة العلاقات المادية والسلطوية والآلية، يؤدّي إلى شعور العامل بالإحباط واللامبالاة، وعدم الانتماء لمؤسسة العمل^(٣)، وبالتالي يضعف مستوى الإنتاج والإتقان فيه.

ثالثاً: محدّد "الأخذ بالأسباب المادية وبذل الجهد" وتطبيقاته:

يقصد بهذا المحدّد، أن إتقان الموظف لعمله الوظيفي داخل مؤسسته على المستوى الفردي وتحقيق المؤسسة ذاتها لأهدافها الوظيفية وإتقانها لمخرجاتها ومنتجاتها على المستوى الجماعي لا بد أن تكون ضمن عملية منظمة مقصودة تأخذ بالأسباب المادية والمعنوية اللازمة لذلك.

ولذلك جعلت رسائل النور فكرة الأسباب الجالبة للخير والموصلة للسعادة والارتقاء، مكوناً أساسياً من بنيتها الفكرية وطريقتها المنهجية ومقاصدها الرّساليّة، انطلاقاً من مرجعيتها الإسلامية التي تقر بالأسباب وانسجاماً مع عقل الإنسان وتركيبته التي خلقه الله تعالى عليها وجعله بها سبباً لإعمار الأرض وإقامة مشروع الاستخلاف فيها. ومما يشير في الرسائل لعموم هذه الفكرة، ما جاء في سيرة ذاتية من "أن أجزاء رسائل النور التي ليست سوى علوم إيمانية، تؤسس الأمن والنظام، ذلك لأن الإيمان الذي هو منبع الخلق الحسن والخصال الحميدة ومنشؤها، لن يخلّ بالأمن بل يحققه ويضمّنه"^(٤). وجاء في الملاحق ما نصه: "فقد أشارت تلك الرسائل مستضيئة بنور الآيتين المذكورتين إلى أن سعادة حياة البشرية منوطه بالاقتصاد وعدم الإسراف، وعلى إثارة الهمم للسعي والعمل والكد"^(٥).

(١) الطويل، هاني، أبدال في إدارة النظم التربوية وقيادتها (الإدارة بالإيمان)، ص ٢٤٠.

(٢) الصعب، محمد، قيم العمل وعلاقتها بالتوافق المهني، ص ٥٧.

(٣) مقابلة، كمال، العمل والأجور في الإسلام، ص ١٣٤.

(٤) النورسي، بديع الزمان، سيرة ذاتية، ص ٢٥٨.

(٥) النورسي، بديع الزمان، الملاحق، ص ٣٧٨.

وتشير معطيات هذا كله إلى عمق فكرة الأخذ بالأسباب الصحيحة للوصول للغايات النبيلة، وعليه تبنى فكرة الأخذ بالأسباب وبذل الجهود والتنظيم في سبيل تحقيق عمل وظيفي متقن مبني على أسبابه الناجعة.

وبما أن رسائل النور هي مشروع متحدد في سبيل بناء حضارة أمة مؤسسة على الإيمان، فإنها تطرح قضية الأسباب في إطارها العقدي الصحيح، بعيدا عن الاتجاهات المادية الصرفة والعلمانية في النظرة للأسباب، فتقرر رسائل النور أن الأسباب هي من خلق الله تعالى، وأن الخالق الحكيم هو من جعل الوسائط الأسباب المادية^(١) في الوجود، وأن على المسلم في عمله الوظيفي أن لا ينسى تلك الحقيقة العقدية وهو يتعامل مع الأسباب المادة في سبيل تحقيق عمله المتقن أو تقديم منحز وظيفي مبدع، من أن كل سبب حوله قد ساعده في عمله هو من تسخير الله تعالى له، بل وفاعلية السبب نفسه من إرادة الله تعالى لذلك، يقول النورسي: "إن الصانع ذا الجلال والإكرام وهو القادر على كل شيء هو نفسه خالق الأسباب وخالق المسببات وهو الذي يربط المسببات بالأسباب بحكمته سبحانه"^(٢)، ويقول كذلك: "إن الأسباب نفسها لا يمكن أن توجد شيئا بحد ذاتها قط"^(٣). وبالتالي فإن رسائل النور تؤسس لعمل متقن من قبل الموظف الفرد أو المؤسسة في إطار عقدي صحيح، يأخذ بالأسباب الظاهرة ويرى فيها وفي أثرها خالق الأسباب سبحانه وتعالى، لتجعل من عملية الإتقان الوظيفي عملية فريدة في تصورها النظري وتطبيقها العملي، تجمع بين العلم والإيمان.

ورسائل النور وهي تؤسس لمحدد الأسباب في تطبيقات عملية الإتقان، فإنها تنظر إلى فكرة الأسباب نظرة واقعية وشمولية ومتكاملة، فلكل شيء يحدث سببه، ولكل ما يصيب الإنسان حكمته^(٤)، وأنه في العمل المزعم إنجازه وإتقانه لا بد أن تجتمع فيه الأسباب^(٥) اللازمة كلها، كما أنها تؤكد على حضور الأسباب المادية أو الطبيعية^(١) وأنها جزء أصيل من

(١) النورسي، بديع الزمان، اللغات، ص ١٢٧.

(٢) النورسي، بديع الزمان، اللغات، ص ٢٨٦.

(٣) النورسي، بديع الزمان، اللغات، ص ٥٦١.

(٤) النورسي، بديع الزمان، المكتوبات، ص ٥٨.

(٥) النورسي، بديع الزمان، اللغات، ص ٢٦٩ و ٢٧٠.

(١) النورسي، بديع الزمان، اللغات، ص ١٦٧ و ٢٧٠ و ٢٩٥ و ٥٢٣ و ٥٧٨.

أعمال حياتنا وإنتاجنا الفردي والوظيفي والمؤسسي، وأن الأسباب فيها من الكثرة والتنوع^(١) وليست مقتصرة على آحاد معينة وانه لا بد للمسلم في حركته الحياتية والحضارية والإيمانية والإنتاجية من التنوع بالأسباب بما يحقق له مطلبه، يقول النورسي: "إن السبب الداعية إلى الدنيا كثيرة والوسائل السائقة إليها وفيرة"^(٢)، ويقول في موضع آخر: "فكل شيء متوجه إلى سبب وصادر منه فالثمرة تؤخذ بطبيعتها من الشجرة والحبوب تطلب من التراب"^(٣)، والمقصود هنا الإشارة إلى واقعية فكرة الأسباب المادية المنتجة للأشياء، وأن رسائل النور توجه الشخصية المسلمة لكي تكون علمية في تعاطيها للأسباب التي من شأنها أن تحقق له نجاحاً وإتقاناً وإبداعاً في عمله الوظيفي داخل مؤسسته وخارجها.

ومن معطيات رسائل النور في هندسة تفعيل الأسباب، أن على قيادة مؤسسة العمل أن تستخدم ما أطلق عليه الباحث استنتاجاً من رسائل النور مصطلح "شبكة الأسباب" بمعنى أن يدرك العاملون في إنتاج معين سعيًا منهم لإتقانه أن شغلهم هذا يقع ضمن شبكة من الأسباب منتظمة متداخلة كل منها يؤثر بالآخر سلباً وإيجاباً، وأنه يتوجب على الكل مراعاة "جزء السبب" الذي يخصه وأن يتقنه بمهارة عالية ويحافظ على فعاليته بالمقياس المحدد له لئلا يضرب خطوط الإنتاج الأخرى، وفي سبيل توضيح هذه الفكرة التي استمدها الباحث من رسائل النور فإنه يسوق المثال ذاته الذي استمدت منه الفكرة وهو يحمل توضيحاً لها، وفي ذلك يقول النورسي مفترضاً وجود: "سفينة عظيمة للسلطان، إن ترك فيها عاملٌ بسيط وظيفته الجزئية، فسيؤدي تركه هذا إلى إخلال نتائج أعمال جميع العاملين في السفينة وإهدارها؛ لأجل ذلك فإن صاحب السفينة، وهو السلطان العظيم، سيهدد ذلك المقصّر تهديداً شديداً شديداً باسم جميع العاملين في السفينة، في حين لا يقدر ذلك المقصّر على القول: من أنا حتى استحق كل هذا التهديد المروّع، وما عملي إلاّ إهمال تافه جزئي! ذلك لأن عدماً واحداً يؤدي إلى ما لا يتناهى من أنواع العدم، بينما الوجود يثمر ثمرات حسب نوعه، لأنّ وجود الشيء يتوقف على وجود جميع الأسباب والشروط، بينما انعدام ذلك الشيء وانتفاؤه من حيث النتيجة إنما هو بانتفاء شرط واحد فقط وانعدام جزء منه. ومن

(١) النورسي، بديع الزمان، اللغات، ص ١٨٧.

(٢) النورسي، بديع الزمان، اللغات، ص ١٨٧.

(٣) النورسي، بديع الزمان، اللغات، ص ٣٦٨.

هنا غدا التخريب أسهل من التعمير دستورا متعارفاً لدى الناس"^(١). ومن هنا على الموظف المسلم أن يعي أنه حينما يقوم بعمله داخل مؤسسة ما فإنه يعمل ضمن شبكة من الأسباب المتعاضدة لتحقيق المنتجات ذات الدرجة المطلوبة من الإتقان، وأنه يتوجب عليه التنبه المستمر لضمانة مجموعة الأسباب الخاصة به وأن لا يفرط بأيّ منها لأن ذلك سيكون عامل إفشالٍ للعلاقات السببية المتصلة بعمله من قبل الآخرين.

ومن هنا، فإن معطيات رسائل النور تحذر من خطورة وجود موظفين سلبين في مؤسسات العمل، تسند لهم أعمال معينة ليقوموا بها ويتقنوا أداءها، وإذا بهم يهملونها، ويتغيبون عن مواقعهم الوظيفية مما يتسبب بخلل وضرر في عمليات إنتاج المؤسسة للخدمات أو للسلع ذات المواصفات الدقيقة. وقد ضرب النورسي لتلك الفكرة مثالا شارحا لها، فيقول: "بستان عظيم جداً يحوى مالا يعد ولا يحصى من الأثمار اليانعة والأزاهير الجميلة، عُيّن عدد كبير من العاملين والموظفين للقيام بخدمات تلك الحديقة الزاهرة، إلا أن المكلف بفتح المنفذ الذي يجري منه الماء للشرب وسقي البستان، تكاسل عن أداء مهمته ولم يفتح المنفذ، فلم يجر الماء؛ بمعنى أنه أحل بكل ما في البستان أو سبّب في جفافه! وعندها فان لجميع العاملين في البستان حق الشكوى من ذلك العامل المتقاعس عن العمل، فضلاً عن شكاوى ما أبدعه الرب الجليل والخالق الكريم وما هو تحت نظر شهوده العظيم، بل حتى للتراب والهواء والضيء حق الشكوى من ذلك العامل الكسلان، لما سبّب من بوار مهماتهم وعقم خدماتهم أو إخلال بها في الأقل!"^(٢)، ويقول النورسي في موضع آخر بما يتضمن إشارة إلى أن الموظف قد يقتل الفكرة والإبداع في العمل، بل والعمل نفسه في حال تفریطه بأسباب النجاح: "إن الذي لا يفتح مجرى الساقية المؤدية إلى الحديقة يصبح سببا وعلّة لجفاف الحديقة ووسيلة لموتها"^(٣).

وبدلاً من هذه الحالة السلبية التي قد تصدر من المسلم في عمله، فإنّ معطيات رسائل النور تتجاوز هذه الوضعية السلبية بعد التحذير منها لتضع عملية إنجاز العمل الوظيفي وإتقانه والإبداع فيه ضمن منطوق الشرع والعقل، فتشير إلى لفكرة أن عالم الأسباب لا يعمل

(١) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ١٩١.

(٢) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص: ١٩٠ و ١٩١.

(٣) النورسي، بديع الزمان، اللغات، ص ٢٠٣.

وحده، وأنه لا بد من بذل الجهد واستفراغ الفكر والتخطيط إذا ما أردنا عملاً متقناً ومنتجاً مميّزاً، حيث تفيد رسائل النور من خلال النظر في دلالات الألفاظ الشارحة لمفهوم الإتقان وما يتصل به إلى ضرورة توافر جملة من العناصر والشروط، وقد أخذها الباحث من أفكار النورسي وصنفها ورتبها ضمن القائمة الآتية:

- وجود الإرادة عند العامل نفسه^(١).
- وجود نظام يسير عليه ويلتزم به^(٢).
- السهولة والسرعة والكثرة في العمل والمنتج^(٣).
- كون مطلب التزيين والإحسان والإتقان مقصوداً ومراداً^(٤).
- انتظام القدر في الشكل والصورة والدقة في النسب والعلاقات والانسجام بينها^(٥).
- القدرة والعلم والذهن الحسن^(٦).

- برنامج عمل واضح^(٧) وأهداف معينة^(٨).
- مهارات فائقة وإبداعات صناعية^(٩).

والمقصود، أن إتقان العمل الوظيفي المؤسسي لا يأتي بالجمان، ولا بالارتجال، بل لا بد من برنامج عمل واضح الأهداف وفريق عمل على درجة من الكفاءة، بذلك يمكن تحصيل الإتقان والإبداع في منتجات العمل الوظيفي المؤسسي، يقول النورسي: "الصنائع الموزونة المنتظمة الجميلة تستند إلى برنامج في غاية الحسن والبرنامج يستند إلى علم وإلى ذهن حسن

-
- (١) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٢١٣.
 - (٢) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٥٣٧.
 - (٣) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٢١٣.
 - (٤) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٢٥٠.
 - (٥) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٦٤٤.
 - (٦) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٧٢٣.
 - (٧) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٧٧٣.
 - (٨) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٢٨٠.
 - (٩) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ١٢٧.

وإلى قابلية روحية"^(١)، فإتقان العمل الوظيفي إذن هو عملية تنموية مقصودة مخطط لها، ولا بد أن تقوم على الكفاءة التي أساسها العدل، فيوضع العامل المناسب ضمن المهمة المناسبة له، وهذه العدالة الوظيفية شرط أساسي من شروط نجاح المؤسسة في تقديم أعمال تتصف بالإتقان والإبداع، وفي الاحتفاظ بموظفين يتميزون بالكفاءة والمهارة والخبرة بحيث يقودون المؤسسة للارتقاء والإبداع. ومن هنا كانت رسائل النور حافلة بالتركيز على قيمة العدل، ورفض سيطرة فئة محدودة على مؤسسات مجتمعية عامة، وواجهت كل أشكال الاستبداد التي تتناقض مع قيمة العدل"^(٢)، يقول النورسي: "والعدالة العامة في الكون تأمر البشرية بإقامة العدل. إن العدالة والاقتصاد من حقائق القرآن وأشدّها إيغالا في أعماق الحياة الاجتماعية"^(٣)، ولذلك كان من فقه الأسباب العدل الوظيفي؛ لأنه يشكل رافعة اقتصادية لكل المؤسسات التي تسعى لتطوير منتجاتها وخدماتها على أساس الكفاءة التي بها يكون الإتقان والإبداع.

رابعا: محدّد "الفروق الفردية" في الاستعدادات والقدرات وتطبيقاته:

تشير رسائل النور إلى كون الإنسان يمتلك- بما وهبه الله تعالى إيّاه- استعدادات تمكنه من أداء مهامه في الحياة الدنيا بدرجة عالية من الإتقان إذا ما أراد الإنسان نفسه أن يكون صاحب همّة عالية، يقول النورسي: "الفطرة البشرية تملك استعدادات غير محدودة تجاه الإحسان والجمال والكمال"^(٤)، كما يتمتع هذا الإنسان برغبات وحواس^(٥)، وقوى عدة، مثل: القوة الغضبية والقوة الشهوية والقوة العقلية^(٦)، والقوة الحافظة والقوة الخيالية المفكرة في دماغ الإنسان^(٧)، وهو يفوق بذلك غيره من المخلوقات الحيوانية، يقول النورسي: "خلق سبحانه الإنسان على فطرة جامعة لها من القدرة ما يثمر ألوف سنابل الأنواع وما يعطي

(١) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٧٧٣

(٢) ينظر: النورسي، بديع الزمان، اللغات، ص ٢٥٨ و ٢٢٩، والشعاعات، ص ٤٢١.

(٣) النورسي، بديع الزمان، اللغات، ص ٥٢٦.

(٤) النورسي، بديع الزمان، اللغات، ص ٩١.

(٥) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٣٦٤.

(٦) النورسي، بديع الزمان، الشعاعات، ص ٦٥٠.

(٧) النورسي، بديع الزمان، الشعاعات، ص ٦٨١.

طبقات كثيرة بعدد أنواع سائر الحيوانات، إذ لم يحدد سبحانه قوى الإنسان ولطائفه ومشاعره، بل أطلقها واهبها له استعدادات يتمكن به من السياحة والجولان ضمن مقامات لا تحدّ^(١).

وفي هذا الإطار تحدد رسائل النور مقومات أساسية إزاء هذه الاستعدادات والقوى التي يمتلكها الإنسان، من ذلك: امتلاكه لإرادة وحرية هي الوسع من بين المخلوقات^(٢)، ولا شك أنه لولا هذه الإرادة والحرية المبنية على وجود عقل مفكر، وتسخير موجودات الكون لما استطاع المسلم أن يقوم بأعباء الخلافة في الأرض^(٣)، ولا إنجاز الأعمال والوظائف المنوطة به، ولا القدرة على تجويدها وإتقانها، ومن ذلك دعوته لاستخدام أفضل الأساليب القومية لتحقيق ذلك^(٤)، ومن ذلك ضرورة استخدام الإنسان كل ما وهبه الله إليه وما اكتسبه في دائرة القيم الإيمانية^(٥)، بعيدا عن الاعتداد بالنفس والغرور بالدنيا، وبذلك تبني رسائل النور شخصية المسلم الموظف على رؤية ذاتية للنفس وما وهبها خالقها في إطار إيماني يمكنها من الإنتاج والإبداع والارتقاء بشكل ينسجم مع مهمة الاستخلاف في الأرض والسير على منهج الله في إعمار الحياة.

وتشير رسائل النور إلى أساس مهم في فهم استعدادات الإنسان وقواه يتمثل بوجود فروق فردية بين الناس في استعداداتهم وقواهم واجتهاداتهم، يقول النورسي: "الناس خلقوا على صور متباينة من حيث المعيشة"^(٦)، وأن الإنسان يمتلك قدرات إبداعية تؤهله للوصول إلى مستويات عالية من الارتقاء، يقول النورسي: "الإنسان مؤهل لما لا يحد من الرقي"^(٧)، وهذا يعني أن لا مبرر أمام ذلك الموظف المتكاسل الذي لا يتقن عمله ولا يسعى لتطوير نفسه.

(١) النورسي، بديع الزمان، الشعاعات، ص ٦٨١.

(٢) النورسي، بديع الزمان، اللمعات، ص ١٨٠.

(٣) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٢٨٢ و ٢٨٥.

(٤) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ٢٨٣.

(٥) النورسي، بديع الزمان، المكتوبات، ص ٤١، واللمعات، ص ٢٣٠.

(٦) النورسي، بديع الزمان، المكتوبات، ص ٤١، واللمعات، ص ٢٣٠.

(٧) النورسي، بديع الزمان، المكتوبات، ص ٣٩٦.

ويمكن للباحث أن يعرف "الفروق الفردية في إتقان العمل" تحديداً، بأنها "تفاوت مستوى الموظفين والعاملين في أداء أعمالهم وإتقانها والإبداع فيها تبعاً لاختلافهم في سماتهم الشخصية، وقدراتهم العقلية، وطاقاتهم الجسدية، وميولهم النفسية".

ومن التطبيقات المهمة لمحدّد الفروق الفردية في استعدادات الإنسان وقدراته، أن على المؤسسة عدم المساواة بين جميع الموظفين في مطالباتها لهم بنفس قوة ودرجة إتقان العمل والوظيفة أو نوع المهمة المتعلقة به؛ لأن هناك فروقا فردية بين الموظفين، فما قد يبدع فيه موظف في جانب قد يخفق في آخر، وما يتقنه موظف لا يتقنه غيره، فهناك ميولات وتخصصات واختلافات في القدرات والمهارات لا بد من مراعاتها، يقول النورسي فيما يشير لعموم هذه الفكرة: "فالسالكون لهذا الطريق يقطعونه على درجات متفاوتة كل حسب عمله"^(١)، وهذا قد يستفاد منه الفروق الفردية الزمنية بين الموظفين في إنجاز أعمالهم، من أن بعضهم قد ينجز عمله المتقن في وقت أقل من الآخر.

ومن تطبيقات مؤسّسات العمل لمحدّد الفروق الفردية في مجال إتقان العمل الوظيفي: تكليف العامل ما يطيقه من الأعمال. فالله سبحانه وتعالى قد جعل الناس متفاوتين في قدراتهم البدنية، وطاقاتهم الجسدية، وهذا من الفروق الفردية التي يجب على مؤسسات العمل في المجتمع المسلم مراعاتها، استجابة لمنطق الشرع، ولا شك أن رسائل النور قد أعطت موضوع الرحمة والشفقة والعدل عناية كفاية. ومما يشير لجوهر فكرة هذا التطبيق المثال الآتي الذي أورده النورسي حول توزيع الأعمال: "يحصل الصناعيون وأهل الحرف على الإنتاج الوفير وعلى ثروة هائلة نتيجة اتباعهم قاعدة المشاركة في الصنعة والمهارة. وإليك مثال ذلك: قام عشرة من صناعي أبر الخياطة بعملهم، كل على إنفراد فكانت النتيجة ثلاث أبر فقط لكل منهم في اليوم الواحد، ثم اتفق هؤلاء الأشخاص حسب قاعدة توحيد المساعي وتوزيع الأعمال - فأتى أحدهم بالحديد والآخر بالنار وقام الثالث بثقب الأبرة والآخر أدخلها النار بدأ يحدّها وهكذا. فلم يذهب وقت أحد سدى، حيث انصرف كل منهم إلى عمل معين وأجزه بسرعة لأنه عمل جزئي بسيط أولا ولاكتسابه الخبرة والمهارة فيه ثانيا، وحينما وزعوا

(١) النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ص ١١٦.

حصيلة جهودهم رأوا أن نصيب كل منهم في يوم واحد ثلاثمائة إبرة بدلا من ثلاثة أبر^(١)، وهذا المثال يتضمن كيف أن توزيع الأعمال في المؤسسة على الموظفين والعاملين مع مراعاة الفروق الفردية لكل منهما من شأنه تنمية العمل المؤسسي وإتقانه واحترام دور الجميع.

قائمة المراجع

- ابن عاشور، محمد الطاهر، التحرير والتنوير، دار سحنون، تونس (د.ط).
- خلف، فليح، النظم الاقتصادية، جدارا للكتاب العالمي، عمان، ط ١، ١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م.
- الصعب، محمد بن عبيد، قيم العمل وعلاقتها بالتوافق المهني لدى عينة من المرشدين بتعليم الليث والقنفذة، رسالة ماجستير، كلية التربية، جامعة أم قري، ١٤٣٠هـ.
- الطويل، هاني عبد الرحمن، أبدال في إدارة النظم التربوية وقيادتها "الإدارة بالإيمان"، الجامعة الأردنية، عمادة البحث العلمي، ط ١، ٢٠٠٦م.
- العجمي، محمد حسين، الاتجاهات الحديثة في القيادة الإدارية، دار المسيرة، ط ١، ٢٠٠٨م.
- القرطبي، محمد، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب العلمية، ط ٢، ٢٠٠٤م.
- مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج، الصحيح، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د ط).
- مقابلة، كمال أرشيد، العمل والأجور في الإسلام، رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ١٩٩١.
- النورسي، بديع الزمان، الكلمات، ترجمة: إحسان قاسم، دار النيل، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٨م.
- النورسي، بديع الزمان، سيرة ذاتية، ترجمة: إحسان قاسم، سوزلر، القاهرة، ط ٤، ٢٠٠٤م.
- النورسي، بديع الزمان، الملاحق في فقه دعوة النور، ترجمة: إحسان صالح، سوزلر، القاهرة، ط ٤، ٢٠٠٤م.
- النورسي، بديع الزمان، الشعاعات، ترجمة: إحسان قاسم، سوزلر، القاهرة، ط ٤، ٢٠٠٤م.
- النورسي، بديع الزمان، المثنوي العربي التوري، تحقيق: إحسان قاسم، سوزلر، القاهرة، ط ٣، ٢٠٠٣م.
- النورسي، بديع الزمان سعيد، صيقل الإسلام (آثار سعيد القلدم)، ترجمة: إحسان قاسم، سوزلر، القاهرة، ط ٤، ٢٠٠٤م.
- النورسي، بديع الزمان، المكتوبات، ترجمة: إحسان قاسم، سوزلر، القاهرة، ط ٤، ٢٠٠٤م.
- النورسي، بديع الزمان سعيد، اللمعات، ترجمة: إحسان قاسم، سوزلر، القاهرة، ط ٤، ٢٠٠٤م.

(١) النورسي، بديع الزمان، اللمعات، ص ٢٤٩.